

الكي في الثقافة العلاجية الشعبية المصرية

سامح شوقي *

تحتل الممارسات العلاجية الشعبية جزءاً من ثقافة المصريين التقليدية، ويعتبر الكي أحد طرق العلاج التي يلجأ إليها الأفراد لمداواة مرضاهم التي يعرفون أو لا يعرفون أسبابها، وتختلف دوافع المرضى في اللجوء إلى الكي، فمنهم من يلجأ إليه من منطلق إعتقادي أو اقتصادي أو ثقافي، إلا أننا تناولنا تلك الطريقة العلاجية من زاوية المعرفة التقليدية المتوارثة التي دخل على بعض أجزائها الممارسات الطبية الحديثة، لتخرج تلك الممارسة العلاجية بشكل خاص، وقد حاولنا أن نتعرض إلى جوانبها المختلفة، وقد اخترنا العلاج بالكي كأحد طرق العلاج الشعبي التي تعتبر من المعارف الشعبية التي يمارسها بعض أفراد المجتمع؛ إذ "نقصد بالمعارف هذه الحصيلة من القواعد العلمية الشعبية، في الطب والزراعة والحرف المختلفة وفي قواعد السلوك الاجتماعي وقضايا الأخلاق؛ أي ذلك العرف التجريبي بإزاء الطبيعة وإزاء المجتمع البشرى ذاته" (١) ويتجه أفراد المجتمع لتلك الممارسات العلاجية «انطلاقاً من كونها تؤدي وظيفة، وتشبع حاجات ملحة من خلال ظروف هذا المجتمع وواقعه» (٢). وما زال كثير من أفراد المجتمع المصري يتعاملون مع هذا النوع من العلاج حتى الآن لمواجهة مشكلاتهم الصحية في ضوء الخبرات والتجارب العديدة المستمدة من البيئة.

أهمية دراسة العلاجات الشعبية:

إن أهمية دراسة العلاجات الشعبية، وخاصة في مجتمعنا المصري الذي يتعرض لتغيرات بنائية كثيرة وفي فترات ليست بالبعيدة، ويرجع ذلك لزيادة عدد السكان الذي أدى إلى زيادة الهجرات وخاصة من الريف إلى المدينة، وكذلك من مدينة إلى أخرى سعياً وراء الرزق؛ كل ينتقل بعاداته وتقاليده التي لم تلبث أن تتغير شيئاً فشيئاً، وينتج عن هذا جيل جديد بمفاهيم وعادات جديدة. كما أن التعليم، ووسائل الإعلام بمختلف أشكالها وخصوصاً الفضائيات، والانترنت لعبت دوراً فعالاً في تغيير الثقافات، ولكن لا ننكر أن الأصل ما زال موجوداً ومحتفظاً ببعض قيمه. وقد حظى الطب الشعبي بحظ كبير من الدراسات، ولكن محافظة الإسماعيلية بضواحيها لم تحظ بأى جانب من تلك الدراسات على حد علمنا، لذلك تم اختيار تلك المنطقة للدراسة. وقد عني في هذا البحث بدراسة العلاج بالكي كطرق من العلاج الشعبي، وقد تم اختيار مجتمع بعينه ينتمي إلى محافظة الإسماعيلية؛ إذ يلي هذا الاختيار القضية البحثية التي تسعى إلى الوصول إلى نتائج تخص تلك القضية، حيث تم اختيار قرية الضبعية التابعة لمدينة الإسماعيلية والتي ينتشر بين أفرادها العلاج بالكي، ومجتمع هذه القرية يضم مجتمع ريفي ومجتمع بدوي متريف.

وتظهر أهمية الدراسة وتبلور في ضوء التغيرات التي يتعرض لها مجتمعنا، حيث يصبح رصد طرق العلاجات الشعبية قبل تغيرها أو بعده ضرورة ملحة.

حاولنا استخدام المنهج التاريخي في تتبع ظهور الممارسات العلاجية المرتبطة بالكي في الثقافات المختلفة، مع التركيز على بداية ظهورها في المجتمع المصري من خلال استقراء التراث النظري حول العلاج بالكي من مصادر تاريخية ودراسات معاصرة أفادت بأن العلاج بالكي كان من «الطرق الشائعة في الأزمنة القديمة، وقد استخدمه الإغريق على نطاق واسع تطبيقاً لنظريتهم في الأخلاط والأمزجة، وجاء العرب فطوروا آلاته واستخدموه في علاج كثير من الأمراض، وقد كان من الصعب العثور على تفسير نظري لنجاح هذه الطريقة في تخفيف الآلام. والكي من الأساليب العلاجية التي لا غنى عنها اليوم في كافة التخصصات الجراحية، وإن كنا نستخدم آلات معقدة لتحقيق ذلك» (٣).

مجتمع الدراسة:

تعتبر قرية «الضبعية» إحدى الضواحي القريبة من مدينة الإسماعيلية، تلك المدينة التي ظهرت على الخريطة بعد حفر قناة السويس؛ إذ كانت في الأصل قرية تسمى قرية التمساح. وقد سميت بالإسماعيلية نسبة إلى الخديوي إسماعيل. وقرية الضبعية، محل الدراسة، تقع على ترعة الإسماعيلية / السويس حيث تمر في منتصفها وتقسّمها إلى قسمين (الضبعية الشرقية - الضبعية الغربية).

وترجع التسمية بالضبعية إلى الفدائيين الموجودين بها خلال الاحتلال الإنجليزي، وقيامهم بأعمال فدائية ضد قوات الإنجليز، فكان يطلق عليهم حين ذاك الضباع نظراً لشراسة هذا الحيوان،

* باحث من جمهورية مصر العربية

الجدود بيكوا، الكوي ده أنا إتعلمته من وانا عندى عشرين سنة أبويا علمهوني الكوي في عليتنا أباً عن جد وأنا علمته لعيالى بس هما ما بيشتغلوش بيه عندهم أشغالهم في الأرض» (٧).

إن القائمين بالعلاج بالكي هم من البدو المترقيين أو من أصول بدو سيناء نزحوا للعيش في ضواحي مدينة الإسماعيلية، وقد نشروا ثقافتهم في مختلف المجالات في المنطقة التي يقطنون بها. وقد ركزنا اهتمامنا على العلاج بالكي وأعرضنا عن العلاجات الأخرى التي يشتهر بها البدو في تلك المناطق، وفي محاولة لتتبع تاريخ العلاج بالكي من أهل منطقة الدراسة، السيدة (ج.أ) من مدينة الإسماعيلية، ربة منزل، عمرها ٧٠ عاماً فتقول "الكوي ده كان موجود من زمان بس إल्ली كان بيعالجو بيه الجماعة السود بتوع عرايشية العبيد (منشية الشهداء حالياً)، ودولا مكانوش من أهل الإسماعيلية، وكمان كان في العربوية بتوع سيناء بعد ما تعدى معديّة نمرّة ستة وكانوا كمان في القنطرة شرق، بس مكانش حد من أهل الإسماعيلية بيروح لهم إल्ली كانوا بيرحولهم ويتعالجوا عندهم الفلاحين والبدو" (٨).

وفي محاولة منا لتتبع ظاهرة العلاج بالكي من حيث استمرارها أو اندثارها فقد أجرينا عدة مقابلات مع أفراد منطقة الدراسة وهم من البدو المترقيين، فقد أجمعوا على أن هذا النوع من العلاج بدأ يأخذ في الاندثار ويرجعون ذلك لعدة أسباب كما يشير السيد (م.ح) وهو بدوي مترقي بقوله: "كنا زمان بنتعالج بالكوي حتى الغنم بنعالجها بالكوي بس دلوقتي بقى في تعليم نور الناس متلاقيش حد من شباب اليومين دول يرضى يتكوي إल्ली يرضى يتكوي الناس الكبار عشان هما واعيين على الكوي، وبعدين الدكاترة كثير وإحنا كل يوم في الإسماعيلية إल्ली بيشتغل هناك ويرد آخر النهار، وإल्ली بيتاجر يعني إحنا نعتبر على طول في الإسماعيلية المشوار كله بياخدله ربع ساعة والعريبات راحة جاية طول النهار، الناس معادتش بدو ذي زمان حتى شوف لبسهم دلوقتي عامل إزاي" (٩).

ويؤكد السيد (ع.م) من سكان قرية الضبعية على عزوف الجيل الجديد عن العلاج بالكي بقوله "أنا أصلاً من العريش أبويا وجدى جم الضبعية واشتروا أرض واستقروا هنا أبويا الله يرحمة كان متجوز ثلاثة أنا ابن الثالثة أصغرهم، وانا اتولدت واتربيت واتعلمت هنا انا أصلاً خريج تجارة وبشغل موظف في الإسماعيلية بس قاعد هنا في الضبعية عشان أباشر الأرض أنا وإخواتي، أبويا كان بيكوي بس مكانتش شغلته الأساسية هو إتعلم الكوي من أبوه وهو علمهوني بس أنا ماشغلتهش بيه ولا كويت حد النهارده معادش في حد يرضى يتكوي يقولك هتشوطني يعني مثلاً عند

وكذلك قيام قوات الصاعقة في حرب أكتوبر المجيدة ١٩٧٣ بأعمال بطولية، وكان يطلق عليهم ضباع، علاوة على أنه كان ينتشر بالصحراء المحيطة بالقرية الضباع.

نبذة تاريخية عن العلاج بالكي:

كان هذا النوع من العلاج لدى البدو فقط، حيث ينذر الأطباء في الصحراء، كما أنهم رحالة وراء أماكن الرعي، فقد «استعمل الأعراب الكي لأوجاع المفاصل المزمنة» (٤). وتاريخ العلاج بالكي في الحياة العربية قديم جداً يعود إلى الجاهلية، وخير دليل على ذلك أقوالهم المأثورة، فمن أقوالهم «كل داء يحسم بالكي آخر الأمر، وآخر الدواء الكي، وكثيراً ما كانوا يعالجون بالبتير أو القطع، والغالب أن يكون ذلك بالنار، فإن النار عندهم كانت تقوم مقام مضادات الفساد عندنا، فإذا أرادوا فصل عضو أحموا شفرة بالنار وقطعوه كما فعلوا بصخر بن عمر أخو الخنساء لما نتأت قطعة من جوفه مثل الكبد على أثر طعنة فأحموا له شفرة وقطعوها» (٥)

كان العرب في الجاهلية يلجأون للعلاج بالكي «إذا عجز الطبيب عن إشفاء مريضه بما عنده من وسائل لجأ إلى الكي. وكان أهل الجاهلية يرون أنه يحسم الداء بطبعه فيبادرون إليه قبل حصول الاضطراب ويعالجون به أكثر الأمراض. واستعمل الكي في معالجة أمراض المفاصل مثل الروماتيزم، وقد برع الأعراب بصورة خاصة وهو معالجة أخذها أطباء الوبر أيضاً وطريقتهم هي كي الجزء المريض بمحديدة محماة أو بحجر محمى، وقد استعمل الكي أيضاً في معالجة الجروح والقروح ووجع الرأس، واستعمل في معالجة الاستسقاء بالكي على البطن، وينسب أهل الأخبار المثل المشهور (آخر الدواء الكي) إلى لقمان بن عاد، وفي نسبتهم هذه المعالجة إليه دلالة على قدمها عند العرب، وهي معالجة لا زال الأعراب يستعملونها في مداواة أمراض عديدة عندهم، وقد روي أن خباب بن الأرت اكتوى في بطنه سبع مرات، واستعملوا الكي للشوكة وهي حمرة تظهر في الوجه وغيره من الجسد، وقد كوى أسعد بن زرارة من الشوكة، وقيل الشوكة داء كالتاعون وزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى أبي بن كعب طبيباً فقطع له عرقاً وكواه عليه» (٦).

حاولنا تتبع تاريخ العلاج بالكي في قرية الضبعية من خلال المعالج بالكي عم عيد حسن، وشهرته الحاج عيد، وهو من مواليد ١٩٣٢م بقرية نفيشة التابعة لمحافظة الإسماعيلية، ومهنته الأصلية مزارع، وهو متزوج ولديه أربعة أبناء وخمس بنات، فيقول «الكوي ده من زمان الزمان إحنا طلعلنا لقينا جدودنا وجدود

أدوات العلاج بالكي:

توجد أدوات خاصة للعلاج بالكي يصنعها المعالج بالكي بنفسه، وهى عبارة عن مسامير من الحديد بمقاسات مختلفة ويوضع في عازل عن الحرارة كقطعة من الخشب أي شيء من البيئة كبقايا ثمرة الذرة، وقطعة من حديد التسليح بطول خمسين سنتيمتر تقريباً.



شكل رقم (١) يوضح أشكال المسامير المستخدمة في الكي



شكل رقم (٢) يوضح المسامير المستخدمة لعلاج عرق النسا



شكل رقم (٣) يوضح المسامير المستخدمة لعلاج الصداع

خطوات العلاج بالكي:

هناك خطوات للعلاج يتبعها معالج الكي، يجب أن لا يجيد عنها، وقد أوجزناها في عدة نقاط وهي:

يقوم المعالج بتحديد الموضع المراد كيه، وذلك بالضغط بأصبع الإبهام على جسم المريض حتى يصرخ المريض بصوت عالٍ من الألم، فيعرف المعالج بأن هذا هو الموضع المسبب للألم ويقوم بكّيه.

يضع المسامير المناسب على النار حتى يحمرّ لونه.

يضع المسامير الساخن للاحمرار على الجلد مع ضغطة خفيفة مدة ثانية واحدة.

يمكن وضع مرهم حروق على موضع الكي، ولكن المعالج بالكي له رأي آخر بقوله ”يجولك حظ على مكان الكوي زيت خروع ولا مرهم لأ إنت تحط مكان الكوي حته ورقة قد البريزة وتبليها بريقك وتحطها مكان الكوي بس ولو عملت صديد تعني في حته

البدو علاجات كثير بالأعشاب ممكن أتعالج بيها ونتيجتها أحسن بكثير من الأدوية، بس متعالجش بالكوي بالرغم إن أبويا كان بيكوي بمسمار سنه صغير عشان مايسبش أثر حرق كبير وكان زمان محدش من إللي بيكوا بياخد فلوس دلوقتي اسمع في ناس بتكوي وبتاخد فلوس جامدة يعنى بقت حرفة، تلاقي اليومين دول عدد إللي بيكوا قليل جدا العريش كلها فيها واحد ولا إثنين إللي هما الناس بتوع زمان” (١٠).

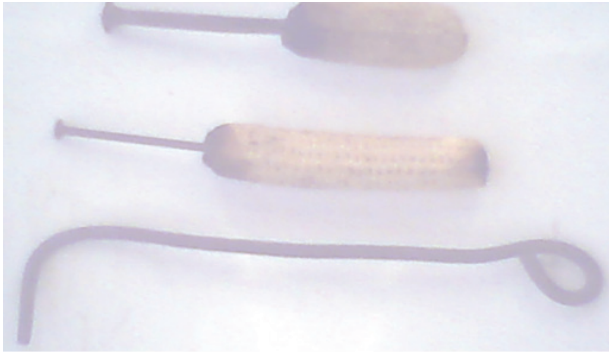
ويعتبر ” الكي بالنار أبرز أساليب العلاج الطبّي بعد الوصفات التقليدية، ولا جدال في صعوبته وخطورته ومدى ما يتطلبه من تحمل وجلد، فهو آخر الدواء لا يلجأ إليه المريض ولا المحيطون به إلا بعد أن تعيهم الحيل، وتسد أمامهم كل أبواب العلاج التقليدية” (١١). إن العلاج بالكي هو نهاية مطاف المريض بعد رحلة شاقة مع المرض، وهو أيضاً ” آخر ما في جعبة الطبيب من تداوٍ، ومن هذا ظهر المثل القائل آخر الدواء الكي” (١٢) وقد استفاد الطب الحديث من العلاج الشعبي بالكي فهم ” يستخدمون الكي ولكن بطرق علمية، وأجهزة حديثة فمثلاً الكي الحرارى يستخدم في العمليات الجراحية لوقف النزيف كما يستخدم الليزر في الكي وهو أدق أنواع الكي لأنه يأخذ مسار واحد، كما يوجد كى ببعض المركبات الكيميائية” (١٣).

اعتقاد المعالجين بالكي:

يعتقد المعالجون بالكي بأن أعضاء جسم الإنسان لها أمزجة، وهذه الأمزجة هي التي تتحكم في المرض، فالمزاج المعتدل يدل على عدم وجود مرض وفي حالة تغير المزاج دل على وجود علة، كما يقول الحاج عيد المعالج بالكي ” جسم البنى آدم ده عبارة عن عضلات وأرطبه وعضم والأحشاء الجوانية إللي هى المعدة والكبد والمصارين كل حته من دى ليها مزاج، المزاج ده دى مزاج البنى آدم مش يقولك ده مزاجه متعكر يعنى مزاجه مش حلو، برده الجسم له مزاج كل حته ليها مزاج يعنى جاتلها حاجة من بره عكرت مزاجها ده إللي إحنا بنقول عليه” (١٤). وتتفق كتب الطب القديمة مع اعتقاد المعالجين بالكي في الاعتقاد بأمزجة الأعضاء وهى تعتبر ” أن المرض هيئة غير طبيعية في بدن الإنسان يجب عنها بالذات آفة في الفعل وجوباً أو لياً، وذلك إما مزاج غير طبيعى وإما تركيب غير طبيعى والعرض هو الشيء الذي يتبع هذه الهيئة وهو غير طبيعى” (١٥)

وكما تذكر دراسات الطب القديمة عن فوائد الكي ”وأما الكي فلأن كل واحد من الأمراض المادية إما أن يكون حاداً فيكون سريع الإفضاء لأحد الطرفين فلا يحتاج إليه فيه، وإما أن يكون مزمناً وأفضل علاجه بعد الاستفراغ الكي في الأعضاء التي يجوز فيها الكي لأنه لا يكون مزمناً إلا عن مادة باردة غليظة قد رسخت في العضو وأفسدت مزاجه وأحالت جميع ما يصل إليه مشابجة جوهرها فيشتعل في ذلك العضو فيستخرج بالكي تلك المادة من ذلك المكان الذي هو فيه بإفناء الجزء الناري الموجود بالكي لتلك المادة” (١٩). وتطالعنا دراسات الطب القديمة بفوائد الكي في عدة نقاط وهي:

- تقوية العضو الذي برد مزاجه.
- تحليل المواد الفاسدة المتشعبة بالعضو.
- يساعد الكي في وقف النزيف.
- يعمل على تدفئة خطوط الطاقة وطرده البرد.
- يعمل على تسهيل سريان الطاقة من أعلى إلى أسفل والعكس.
- يعمل على تقوية خطوط الطاقة وتعادلها ومنعها من الانحيار.
- والكي يعالج فوضى الطاقة وركود تدفق الدم بسبب الرطوبات الباردة في عمق المفاصل والعضلات، بسبب بعض الأمراض المزمنة، وحرارة الكي تساعد في تسخين الدم وتدفعه بصورة صحيحة.
- الكي يساعد على تنشيط نظام المناعة حيث إن الجسم يشعر بحرارة الحرق فيطلق أجساماً مضادة أكثر لمقاومة الحرق، وهذا ينشط ويقوي المناعة (٢٠).



شكل (٥) بعض أدوات العلاج بالكي

وقد ”أثبتت بعض الأبحاث العلمية التي أجريت في مراكز متخصصة في الغرب أن تأثير العلاج بالكي يشبه العلاج بالإبر الصينية، من حيث أنه يعتمد على تخليص المريض من الآلام بالتأثير على مراكز الأعصاب في الجسم أو إيقافها عن العمل“ (٢١). وهناك أخطاء

الورقة دي وتدوس عليها تلاقها تنز كده وكل ما تجيب يكون أحسن لحد لما يطيب مكان الكوي“ (١٦).

للعلاج بالكي مواضع يعرفها المعالجون بالكي، وهي مواضع محددة لا يجيدون عنها وهي غير مذكورة في الكتب العلمية، ولكنها متوارثة لدى المعالجين بالكي، فلكل مرض موضع كي محدد، كما يقول المعالج بالكي ”عندك مثلاً عرق النسا بنكوي قرب مفصل الفخذ من فوق عشان العرق ماسك الرجل من فوق أوله من عند مفصل الفخذ ده لحادة القدم، فأنا لازم أطقه من أوله، وعندك الصداع النصفي ده أجارك الله بيخلي البني آدم ماينامش ولا يعرف يمشي ولا يقعد بيكون نصف رأسه الشمال صداع مستمر وعينه الشمال مرغللة، يعني بيكون عنده ضغط عالي مآثر على رأسه وعينه، وده بنكويه فوق الودن الشمال، عشان العرق إللي خارج من الراس بدايته فوق الودن الشمال، واللوز بتكوي فوق الودن اليمين والودن الشمال عشان العرق إللي رايح لها فوق الودن اليمين والودن الشمال، وفتق الخصيتين بنكويه فوق العرق إللي واصل للخصيتين، الكوي دائماً لازم ناخذ العرق من أوله يعني بنشوف المرض ده أول العرق إللي واصله فين ونطقه“ (١٧).



شكل رقم (٤) يوضح المسمار المستخدم في علاج اللوز

فوائد العلاج بالكي:

يعتقد المعالجون الشعبيون أن للكوي فوائد كثيرة كما يقول الحاج (عيد) المعالج بالكي ”الكوي ده علاج زى أي علاج في الدنيا بتروح للدكتور لما تكون عيان برده الكوي بيحيله الناس العيانيين بس مش أي عيان العيان إللي مالوش علاج عند الدكتور، إزاي هقولك عندك مثلاً عرق النسا ده مالوش علاج علاجه الوحيد الكوي، الروماتزم ده برده علاجه الكوي، النزيف شوف لما يكون واحد مثلاً إيداه أو رجله أو صابعه أي حاجة إنقطعت منه علاجه على طول الكوي ولا هتسيه ينزف ويموت، الكوي بيعالج اللوز، وبيعالج فتق الخصيتين، وبيعالج العنين إللي عارفين الحجات دي أكثر هم البدو عشان معندهمش دكاترة ولا مستشفيات يمكن النهارده الطب بيعالج حجات كثير بس ماقدرش على عرق النسا والروماتزم لسه من كام يوم جاني دكتور وجابلي أمه عشان أكويها كان عندها عرق النسا ، لو كان عنده علاج في الطب كان عاجلها مكانش جبهالي أكويها، يعني إللي عايز أفوهولك هو إن الكوي بيصلح مزاج العضو يعدل مزاجه تاني يرجعه لحالته الطبيعية تلاقني إللي عنده عرق النسا ومش عارف يمشي على رجله بمجرد مايتكوي يقف على رجله ويمشي عليها“ (١٨).

فوق ودانه ولما الواد سرخ خدته في حضني واديته البز مافيش دقيقتين وكان ساكت وخفت اللوز“.

٤. كما تروي السيدة السابقة ابنة أخت الحاج عيد ”عندي تعب في فقرات الرقبة مانفعلش أشيل شيلة ثقيلة ورحت للدكتور إداني حقتن يجي عشر تيام وماطبتش جيت هنا إنكويط وطبت وبشغل بإيدي عادي دلوقتي، إنت عارف لما إنكويط على كتافي هناهوت كان بيحيلي برجة فطيعة تلاقيها زي رجة الكتكوت بتاع الفراخ الأمهات بس لما باجي أستحمي أدعكة بيحيب مياه مكان الكوي وكل ما يجيب يكون أحسن لحد لما يلم على نظافة“.

٥. السيد (م.ف) ويعيش في الضبعة، وهو من أصل بدوي من المساعيد ويروي قصته مع المرض ”أنا جالي وجع شديد في رجلي مكانش بينمني طول الليل لما رجلي كانت بتشد عليا وإحنا عارفين إن ده عرق النسا إحنا أصلاً عربوة وبنعرف إيه المرض ده، رحمت على طول للحاج طلب ده كبير في السن مشهور عندنا في رابعة تبع رمانه وكواني وطبت ولو كنت رحمت للدكاترة اليومين دول كانوا دوخوني زي مايعملوا مع الناس“.

٦. السيد (ش.م) وهو من محافظة الشرقية أصلاً ولكنه جاء للعمل في الإسماعيلية سنة ١٩٧٦ م وتزوج وعاش بها حتى الآن ويروي قصته مع المرض ”أنا كان عندي كالمو في رجلي ماكنتش أعرف ألبس لمؤاخدة جزمة كان لازم أجيب الموس وأحف من الكالمو، وشوية ويرد تاني لحد من حوالي أربع سنين تقريباً كنت شغال في عمارة جماعة عرايشية باعملهم نجارة العمارة، ولاحظ الحاج فؤاد إني كل شوية باخلع لمؤاخدة الجزمة وألبس شبشب فسألني فيه إيه قولت له ده انا عندي كالمو في رجلي تعني بقالي سنين ضحك وقال لي تعالي عندنا في العريش راجل بيكوي وهتطيب ده عملها لناس كثير ده حتى في ناس بتجيلوا من مصر والإسكندرية والشرقية وبلاد كثير، وفعلاً رحمت للحاج فؤاد عنده مزرعة كبيرة في العريش وبعث معي واحد بعريته ورحنا للراجل إلهي بيكوي وكوا لي بس بعيد عنك فعدتلي حوالي شهر مش قادر ألبس لمؤاخدة جزمة ولا حتى شبشب ومش عارف أعمل حاجة حتى الشغل في عمارة الحاج فؤاد إتعمل وكل لما يتصل بيا أقول له رجلي تعبان مايتحركش من البيت يضحك على في التليفون ويقول لي خير خير، لحد لما الجرح لم أخت لي حوالي تلت شهور وبعدها قدرت أمشي على رجلي والبس لمؤاخدة جزمة الحكاية دي مر عليها أربع سنين ورجلي طابت وبقت عادية وبمشي عليها وبشغل كأني مافيش حاجة“.

٧. السيد (إ.ف) ويروي قصته ”من حوالي سبع سنين جاني عرق النسا لفيت على الدكاترة ماخلتش في الإسماعيلية وفي مصر وفي المنصورة كان كل لما حد يقولي على دكتور كويس أروح له لحد لما في مرة ناس معرفة قالوا لي على واحد بيكوي في سرايوم

شائعة قد يقع بها بعض المعالجين بالكوي وخاصة المبتدئين أو من ليس لديهم خبرة بالكوي ويتخذونها مهنة لهم، وخصوصاً بعد أن أصبحت تلك المهنة بمقابل مادي بعد أن كان المعالج بالكوي لا يأخذ أجراً، كما يقول عم عيد المعالج بالكوي ”بيجيني ناس كثير متبهدين بيروحو لواحد مالوش في الكوي بيكوبهم بمسمار كبير وفي حنت كثير حرام عله دي هي طقة واحدة على العرق وخالص ليه بيعملوا كده في الناس“ (٢٢). وعن محاذير الكوي يخبرنا المعالج بالكوي ”في حجرات كثير لازم ياخذ باله منها إلهي بيكوي يعني لما باكوي واحد هي طقة واحدة وبسرعة ماضغطش على المسمار ليه عشان في عندك في الركبة مثلاً لما يكون فيها إلهي عنده روماتزم إحنا بنكوي حوالن الركبة في عندك أعصاب وبداية راس العضلات بتاعت الرجلين وفي الأريطة إلهي ماسكة الركب، لما بافضل ضاغط على المسمار كل ده بيتحرق بيقى أنا عاجلته فبن بقى، هي طقة واحدة بس، وكمان الست الحامل ماتتكويش، إلهي بينزف لازم يتكوي بمسمار محمي يكون لونه أحمر كده، عشان الدم إلهي نازل عامل ذي المياه بيظفي نار المسمار“ (٢٣).

نماذج من تجارب العلاج بالكوي:

من خلال معايشة مجتمع الدراسة تم الوقوف على عدد من التجارب العلاجية التي مر بها بعض المرضى لمعرفة ما هي التجارب التي مروا بها حتى وصولهم للعلاج بالكوي، وقد راعينا في الإخباريين الطبقة الاجتماعية فاخترنا عدة نماذج من مختلف الطبقات الاجتماعية، والنوع (ذكر-أنثى)، وكذلك الأعمار السنوية للإخباريين، ومن تجارب بعض أفراد المجتمع كما يرونها هي:

١. السيد (ن.م) من مدينة الإسماعيلية ويروي قصته ”إحنا كنا مهاجرين في إكباد تبع محافظة الشرقية، سنة ١٩٦٩م، وكان جمال إبني عنده خمس سنين ونزلت عله اللوز وكان أيامها المواصلات صعبة وأقرب مركز كان فاقوس، وكنا محتاسين مش عارفين نعمل إيه لحد لما جار ليا قال لي في واحد عربناوي بيكوي وناس كثير راحتوا وخفت، مكانش أدامي حل غيره رحتل بالواد، وكواه وتاني يوم بدأ الورم إلهي كان في زوره وكان خده اليممين وارم هدي الورم وخف الحمد لله بعدها بكام يوم“.

٢. السيدة (ه.ع) من عرب كيلو ١٧ التابع لمحافظة الإسماعيلية وتروي قصتها ”بعد الجواز بفترة صغيرة حسيت إني مش شايقة بعيني اليمين روحت مع جوزي وأمي للحاج عيد وكوا لي جب حفن عيني وبعد الكوي لقيت ميه كثير بتنزل من مكان الكوي وبدأت أشوف بعيني تاني. كانت كل يوم بتنزل في مية لحد سبع ولا تمنتيام“.

٣. تروي السيدة (ج.ع) ابنة أخت الحاج عيد قصة مرض إبنها ”وتقول جاتله اللوز وهو عنده أربع شهور إديته لخالي كواة

المراجع

١. أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧١، ص ١٢٣.
٢. محمد الجوهري، علم الفولكلور، دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية، الجزء الأول، دار المعارف، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٨، ص ٦٦، ص ٦٧.
٣. أبو القاسم خلف ابن عباس الزهراوي، التصريف لمن عجز عن التأليف، ص ١، بدون بيانات.
٤. مصطفى عمر حمادة - المقومات الاجتماعية والثقافية لممارسات الطب الشعبي في المجتمع الحضري السعودي دراسة أنثروبولوجية - بحث غير منشور - ٩٧.
٥. صالح مهدي العزاوي، الحمامة والكي في التراث الشعبي، مج التراث الشعبي، ع٧، السنة السادسة، ص ٧٢، نقلاً عن شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون أدب، ج ٣، ١٨.
٦. المرجع السابق، ص ٧٢.
٧. عيد حسن معالج بالكي.
٨. السيدة (ج.أ).
٩. السيد (م.ح).
١٠. السيد (م.ع).
١١. محمد الجوهري، علم الفولكلور، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، الجزء الثاني، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٠، ص ٥٠٧.
١٢. أحمد شوكت الشيطي، العرب والطب، القاهرة، مطبعة وزارة الثقافة، سنة ١٩٧٠م، ص ٢٩.
١٣. مصطفى عمر حمادة، المقومات الاجتماعية والثقافية لممارسات الطب الشعبي في المجتمع الحضري السعودي دراسة أنثروبولوجية، بحث غير منشور، ص ٩٧.
١٤. عيد حسن معالج بالكي.
١٥. سماح سامي، مختصر كتاب القانون في الطب لابن سينا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ٢٠٠٧، ص ٤٤.
١٦. عيد حسن معالج بالكي.
١٧. عيد حسن معالج بالكي.
١٨. الإخباري رقم (٥) المعالج بالكي في منطقة الدراسة.
١٩. ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٣، ص ٥٢.
٢٠. المرجع السابق، ص ٥٢.
٢١. سعد عثمان، الطب الشعبي دراسة في اتجاهات التغيير الاجتماعي في المجتمع المصري، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية كلية الآداب جامعة القاهرة-الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٢م، ص ١٦٣.
٢٢. عيد حسن معالج بالكي.
٢٣. عيد حسن معالج بالكي.

روحته له وأديك شايف أنه مكان الحرق وبردة ماجبش نتيجة مش عارف أعمل إيه“.

وبهذا نكون قد استعرضنا عدداً الحالات المرضية وكيفية الوصول بهم للعلاج بالكي، فهو نهاية مطاف رحلة عناء مع المرض لبعض المرضى، أو قد يكون ثقافة علاجية لدى جماعة معينة مثل أهل البادية فلذلك يتوجهون إليه بلا تردد.

نماذج من تجارب المعالج بالكي:

١. ويروي الحاج عيد حسن المعالج بالكي ” جاني من يومين بالليل شاب يجي حوالي ٢٥ سنة وكان عنده فتق في الخصيتين ولف على دكاترة كتير ماجبوش معاه نتيجة ومكانش بيقدّر يفرد رجلية كويته وفي ساعتها قدر يقوم وفرد رجلية ”.
٢. ويروي الحاج عيد حسن المعالج بالكي ” جاني وكيل بتزول من السعودية بجيله ٢٧ سنة بيعاني من ركبة مايعرفش يلبس بنطلون عشان مايعرفش يتني ركبته جابه نسبي إلهي واخذ بنت أخويا وحدت عقل الفقرات في ظهره وبقيت أضغط عليها واحدة واحدة لحد التعبانة زعق وكويته وقام وقف على رجليه في الحال“.
٣. ويروي الحاج عيد حسن المعالج بالكي ” دك النهار جاتني واحدة من مصر كان عندها ناصور في العين رحت جايب المسلة إلهي بيخيطوبها الشولة ورحت عاوج السن بتاعها بالبلسة وقولت لها غمضي عينك ورحت فوق العرق ورحت كاويها وخفت دي حاجة بتاعة رنا يعني“.
٤. ويروي الحاج عيد حسن المعالج بالكي ” صلي على النبي في دكتور هنا إلهي فاتح عند العرب صيدلية كان عنده إنه حصل فيه زي ما يكون حرب جسمه كله كدة يعد يحك جاني رحت وصفلة اللسبرتو الأبيض يروح ماسكة ويغسل جسمه كله وبعدين يدهن جسمه بصبغة اليود كام يوم وطاب ماخلاش دكتور في مصر إلا لما رحلوا، الواصفة دي إحنا عارفنها وراح دهن كام مرة وطاب اللسبرتو بيعمل إيه بيظهر وصبغة اليود بتكوي“.
٥. ويروي الحاج عيد حسن المعالج بالكي ” في واحد من العرب جبوه كان عنده اللوز رحت كاويته فضل ينز من بقه لما طلع كل الصديد إلهي على اللوز وحف كله بتاع رنا“.
٦. ويروي الحاج عيد حسن المعالج بالكي ” جاتلي واحدة مع دكتور قريبها كان عندها مية على الركبة رحت كاويها إنسحبت المية، خشونة الركبة إلهي يقولوا عليها الدكاترة مش خشونة بس هو برد بيكون متركز عند العضم والكوي بيسحب البرد ده يفضل مكان الكوي يجيب في مياه تنزل مياه صفرة كده لحد لما يخف التعبان“.